كراهية المؤمن لإرتكاب الذنوب

ومن الأخلاق القرآنية العظيمة ، والتي يحث عليها ديننا الحنيف وإيماننا الظاهر ، وأنفسنا الذاكية ، وسنتنا المطهرة ، كراهية المؤمن لارتكاب الذنوب ، واقتراف الآثام ، واجتراح السيئات ، وكسب المناكر ، لذا يقول الحق- سبحانه وتعالى- في محكم كتابه الكريم :- ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سورة يوسف:٣٣]

والمعنى إن دخول السجن أهون عَلَيَّ وأسهل من الوقوع في المعصية لا ان دخول السجن مما يجب على التحقيق ، وحكي أن يوسف -عليه السلام - لما قال " السجن أحب إليَ " اوحى الله إليه يا يوسف أنت حبست نفسك حين قلت السجن أحب إليَ ، ولوقلت "العاقبة أحب إليَ لعوقبت " وإلا تصرف عنى كيد النسوان ، وقيل النسوة اللاَّتي رأينه ، فأنهن أمرنه بمطاوعة امرأة العزيز وقلن له " هى مظلومة وقد ظلمتها " وقيل طلبت كل واحدة ان تخلو به للنصيحة في امرأة العزيز ، والقصد من وراء ذلك هو أن تعدله في حقها وتأمره بمساعدتها فلعله يجيب ، فصارت كل واحدة تخلو به على حدة فتقول له " يا يوسف اقض لي حاجتي فأنا خير لك من سيدتك ، تدعوه كل واحدة لنفسها وتراوده .

فقال يوسف-عليه السلام- يارب كانت واحدة فصرن جماعة .

وقيل هو كيد امرأة العزيز فيما دعته اليه من الفاحشة ، وكنى عنها بخطاب الجمع. إما لتعظيم شأنها في الخطاب ، واما ليعدل عن التصريح إلى التعريض ، والكيد هوالاحتيال ، والاجتهاد ، ولذلك سُمّيّت الحرب كيداً ولذلك لاحتيال الناس فيها ، قال الشاعر" عمرو بن لجأ " :

تراءت كي تكيدك أم بشر وكيد بالتبرج ما تكيد

ونحن نرى إن الراجح هوامرأة العزيز وجاءت صيغة الجمع للتعظيم لأنها امرأة الملك وهذا هوالأنسب فى هذا المقام ، وليس المراد جميع النسوة ، فهومن غير المعقول . "واصب إليهن " يعنى أميل إليهن.

يقول الشاعر :

الى هند صبا قلبى وهند مثلها يصبى

والمراد هو ان لم تلطف بى في اجتناب المعصية وقعت فيها ، وأكون ممن يرتكب الإثم ، ويستحق الذم ، أو أكون ممن يعمل عمل الجهال ، ودل هذا على ان أحدا لا يمتنع عن معصية الله إلاَّ بعون الله ، ودل أيضا على قبح الجهل والذم لصاحبه .

ففي هذه الآيه الكريمة نرى " يوسف " ـ عليه السلام - يلجأ إلى ربه ويناجيه فى تضرع ، وخشية وخشوع ، وتذلل فيقول رب السجن آثر عندي وأحب مما يدعوننى إليه من اقتراف الذنوب ، وارتكاب المنكر ، وأسند الفعل إليهن لأنهن جميعاً مشتركات حيث أردن مؤازرة امرأة العزيز بالتصريح ، أوالتلميح ، فإن لم تدفع عنى سرهن ، وتعصمنى منهن أمل الى إجابتهن وذلك بمقتضى البشرية حيث أنه بشر ، ولديه الغريزة ، يقول علماء النفس إن الغريزة تنشط بوجود المؤثرات . وها هو ذا وجد المؤثر وهو امرأة العزيز التي تراوده ، وتطلب منه الفاحشة ، وأكن من الجاهلين بسبب ما يطلبونه منه من القبح ، وفعل المنكر ، وهذا كله على سبيل التضرع ، والاستغاثة بالله سبحانه ، وذلك كعادة الأنبياء -عليهم السلام- والصالحين ولا غرو فإن يوسف- عليه السلام - أعطى شطر الحسن ورأى النبى - ﷺ - يوسف - عليه السلام - في السماء الثالثة قال فاذا هو قد أعطى شطر الحُسْن .

وعن ثابت بن أنس - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله - ﷺ - " أعطى يوسف وأمه شطر الحسن "، وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه - قال " اعطى يوسف وأمه ثلث الحسن "، وقيل كان وجه يوسف . عليه السلام . مثل البرق ، وكانت المرأة اذا أتته لحاجة غطى وجهه مخافة ان تفتن به وأعطى الناس الثلثين ، وقيل أعطى يوسف وأمه الثلثين والناس الثلث .

ولهذا ثبت في الصحيحين ان رسول الله - ﷺ - قال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلاَّ ظله إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا اليه وتفرقا عليه ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه " وقد اجتمع في يوسف . عليه السلام . اكثر من خصلة فهو شاب ونشأ في طاعة الله ودعته ذات منصب وجمال ودعته إلى نفسها فخاف الله .

هذا خلق يجب أن يحتذيه كل مسلم ، بل كل شاب وشابه ، يريد الاعتصام بالله ، فمن أراد العصمة من اقتراف الذنوب بنية خالصة وصادقة ، يسر الله له العصمة من الوقوع في الفاحشة وفي غيرها من المناكر ، التى نهى الله عنها فنية المؤمن خير من عمله ، ويقول النبى - ﷺ - " إنما الاعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى " .

ويقول الإمام المراغى في تفسير هذه الآيه " ربى أنت العليم بالسرر والنجوى ، والقدير على كشف تلك البلوى ، إن السجن الذى هددت به ، والمكث في بيئة المجرمين على شظف العيش ، ورقة الحال احب إلى نفسى مما يدعوا إليه اولئك النسوة من الاستمتاع بهن في ترف القصور والاشتغال بحبهن عن حبك وبقربهن عن قربك ، حيث ان النسوة خوفنه مخالفتها ، فقلن هل: أطع مولاتك أنلها ما تهوى ، لتكفى شرها ، وتأمن عقوبتها ، وان لم تبعد عنى شراك كيدهن ، وتثبتني على ما أنا عليه من العصمة ، آمل إلى موافقتهن على أهوائهن ، وأقع في شباك صيدهن ، وارتع في حماة غوايتهن ، ويلجأ يوسف- عليه السلام - إلى الطاف ربه ويسلك سبيل المرسلين من قبله في فزعهم الى مولاهم الحق- سبحانه وتعالى- لينيلهم الخيرات ، ويبعد عنهم الشرور والموبقات وإظهارهم أنه لا طاقة لهم إلاَّ بمعونته سبحانه ، وذلك مبالغةً في استدعاء لطفه وعظيم كرمه ومنه ، وأكون بهذا الفعل القبيح من السفهاء الذين تستخفهم الأهواء وتتملك فيهم الشهوات ، فيحنون إلى ارتكاب الموبقات ، واجتراح السيئات فالذى يعيش بين هؤلاء النسوة الماكرات المترفات لا مهرب له من الجهل إلاَّ أن تعصمه بما هوفوق الأسباب والسنن العادية . وفي هذا إيماء إلى أنه ما صبا يوسف إليهن ، ولا أحب أن يعيش معهن ، بل سأل ربه سبحانه أن يديم له ما عوده من كشف السوء عنه ، وذلك يتجلى في قول الحق سبحانه:-﴿.....كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يوسف:٢٤]فاستجاب له ربه وقبل دعاءه ، وصرف عنه كيدهن ، إنه هو السميع لدعاء من تضرع إليه ، وأخلص

الدعاء له ، العليم بصدق إيمانهم ، وبما يصلح أحوالهم ، وفي هذا إرشاد الى ان ربه سبحانه حرسه بعنايته ، وكلأه برعايته ، وحفظه بحفظه في جميع أطواره وشئونه ، وربأه أكمل وأعظم تربية ، وما خلاه لنفسه في أهون الأمور.(١)

وذلك دليل على إن المسلم اذا اعتصم بالله ، ودعاه ورجاه بنية صادقة فإنه من الذنوب ينجيه ، ومن السيئات يحميه ، وبالإخلاص ينقيه ، وظاهراً وباطناً يرقيه ، اللَّهم رقنا ظاهراً وباطناً ..... آمين .

1- الكشاف ج٢ ص٤٦٧ .
- تفسير القرطبى ج٥ ص ٣٤١٣ وما بعدها .
- تفسير المراغى ج٤ ص١٤١ وما بعدها .
- تفسير البيضاوي.
- حاشية الشهاب على البيضاوي بتصرف .
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص ٤٧٧ بتصرف .